

ارتباط العربي بالاسلام نلقائي غير مفروض على الشعوب الاسلامية

للدكتور أحمد الضيبي
(جامعة الرياض)

وكان من مظاهر الصراع بين العربية من جهة واللغات الاقليمية من جهة اخرى ، كالفارسية مثلا تلك الحركات الشعبية التي استهدفت تاريخ العرب وعاداتهم وتقاليدهم ولفتهم واخذت تفاضل وتوازن بين ما عند العرب وما عند غيرهم . وتمادت هذه الحركات المتطرفة حتى استهدفت اقدس كتاب حملته الامة العربية الى العالم وهو القرآن الكريم ، فقد روى عن الحسن بن سهل وزير المأمون انه عندما سئل عن رأيه في القرآن الكريم قال : « حسن ككتاب كليله ودمنة » (*)

وقد صمدت اللغة العربية في هذه الحرب على اعتبار انها لغة الاسلام التي نزل بها القرآن والتي يتفوه بها المسلم ايا كان جنسه في صلواته ومناسكه فارتبطت بالاسلام ارتباطا وثيقا ولكن ارتباطها بالاسلام لم يفرضها دائما على الشعوب المسلمة ولم يكن بمقدورها في كثير من الاقطار الاسلامية ان تدخل الى مختلف طبقات الشعب فتصبح لغة التخاطب التي يستعملها الناس في حاجياتهم اليومية . ونحن نرى في كثير من الاقطار الاسلامية غير العربية ازدواجيا في اللغة اذ يحتفظ الفرد بلفتين : لفته المحلية (كالاوردية او الفارسية او التركية) ولفته الدينية (اللغة العربية) . وقد حالت دون استعمال اللغة العربية لغة شعبية في هذه المناطق ظروف كثيرة اجتماعية وسياسية

ظهر الاسلام في الجزيرة العربية بين قوم يتكلمون العربية ، ونزل القرآن الكريم بهذه اللغة كما بشر الرسول صلى الله عليه وسلم بها فارتبطت اللغة العربية بالاسلام منذ ذلك الوقت واصبحت لغة هذا الدين لا نزاع في ذلك ولا جدال . . ولكن الاسلام مع ذلك ليس دين العرب فحسب بل هو دين عالمي يستهدف البشر جميعا ويهدي الناس كافة فهو اذن لا يقتصر على اولئك الذين يتكلمون العربية وانما هو دين لكل الامم بكل لغاتها واجناسها .

وابان الفتوحات الاسلامية حمل العرب الاسلام واللغة العربية الى البلاد المفتوحة وكان ان تقبلت شعوبها الاسلام طوعا او كرها ولكنها لم تقبل العربية الا بعد صدام طويل بين العربية وبين لغاتها المحلية حققت العربية بعده انتصارا كاسحا دائما في بعض المناطق كالشام والعراق ومصر وخاصة على الصعيد الشعبي حيث توارت لغاتها المحلية نهائيا من عالم التخاطب العادي وحلت محلها اللغة العربية تدريجيا . كما حققت انتصارا مؤقتا في فارس وما وراءها . فما ان عاد الفرس الى الاحتفاء بترانيمهم القديم واعادة بناء حضارتهم السابقة حتى بدأ الاهتمام بالعربية يقل واخذت الفارسية تزدهر من جديد وخاصة في العصر السلجوقي .

(*) انظر : يوهان فك : العربية ص 84 (ترجمة عبد الحليم النجار : القاهرة - 1951 م) ، وقارنه بما جاء في كتاب مضاهاة امثال كتاب كليله ودمنة بما اشبهها من اشعار العرب لابي عبد الله محمد بن حسين اليميني (تحقيق د . يوسف نجم) بيروت 1961 م ص 2 .

بالرغم من ان الانجليزية قد صدرها الى شبه القارة الهندية قوم مسيحيون .

والخلاصة ان انتقال ديانة ما يستتبع انتقال لغتها المقدسة معها ، ولكن انتقال لغة ما لا يستتبع انتقال ديانة اصحابها .

وليس لدينا من واقع لهجاتنا المحلية ما نستطيع الحديث فيه عن صلة الاسلام بهذه اللهجات ، لان هذه اللهجات لم تدرس دراسة علمية على هذا الاساس ، غير ان دخول بعض الصيغ الدينية البحت في كلامنا الدارج يتجلى في الادعية المختلفة التي يلهج بها ابناء الشعب في الجزيرة في حالات الشدة والرخاء والرضا والغضب ، وكذلك في بعض الامثال والحكم التي تشيع بين العامة في هذه البلاد مما يؤكد تأثيرا دينيا قويا على مفردات اللغة وتراكيبها .

ويبدو - وان كان الامر يحتاج الى دراسة اعمق - ان الفئة المتدينة من ابناء الشعب في الجزيرة العربية هي اقرب الفئات ولوعا باللغات العربية الفصحى والتقاطا لمفرداتها وتشبها بأساليبها وقدرة على تعلمها واستيعابها نشهد ذلك في الطلبة الذين ينشاون في بيئات دينية فنجدهم اقرب الى تعلم العربية وتقبل قواعدها من اولئك الذين نأت بهم بيئاتهم عن الثقافة الدينية . وفي هذا ايضا ما يدل على ان الشعور الديني يهيء لتفهم اللغة العربية وانتشارها .

وغيرها . كما ان الشعوب الاسلامية الاخرى التي تقلت اللغة العربية كلفة شعبية مكنت لها ذلك ظروف اجتماعية عديدة من اهمها الاختلاط المباشر والهجرات الجماعية الضخمة التي انتقلت من الجزيرة العربية واستوطنت هذه البلدان واستطاعت ان تعيش على مر التاريخ الاسلامي ، لم تزجج عن اماكنها بسبب الحروب أو الثورات الداخلية أو النعرات المنصرية فمكنت بذلك للعربية ان تستقر وان تنمو وان تصبح لغة الشعب .

وهكذا فان انتشار الاسلام يمهّد لانتشار اللغة العربية ، ولا شك ان بقاء هذه اللغة في الاماكن التي دخلها الاسلام مرهون بالظروف الاجتماعية والسياسية المختلفة التي تسيطر على تلك الاماكن .

اما انتشار العربية فلا يعني بالضرورة انتشار الاسلام وليس كل من نطق العربية معتقدا بالاسلام أو مؤمنا به .. وهناك من العرب أنفسهم من يتحدث العربية ويكتبها ويعتبرها لغته وجزءا من حضارته وتراثه ولكنه مع ذلك لا يؤمن بالاسلام ، وما ذلك الا لان اللغة في حد ذاتها أداة اجتماعية تؤدي اغراضا معينة لمستعملها بصرف النظر عن اهداف هذه الاغراض ، وشأن العربية في ذلك شأن اللغات الاخرى ، وانظر الى الانجليزية في هذا العصر ، ليست اللغة الثانية والرسمية في الهند وباكستان ؟ وانظر الى عدد المسيحيين في هاتين الدولتين تجدهم قلة اذا ما وازنت بين عددهم وعدد المسلمين أو البوذيين وذلك